الفصل الثانى

- كيف بدأت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ؟!
- مغزى قضية اللاجئين .
- النزوح العربى ومأساة اللاجئين .
- وكالة غوث اللاجئين ودورها فى معالجة هذه الأزمة .
- مذبحة دير ياسين .

obeikandl.com

obeikandl.com

كيف بدأت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

إن ظاهرة خروج العرب من فلسطين قديمة ترجع إلى سنة ١٩٣٦ إلا أنها توقفت أثناء الحرب ثم لما اتخذ قرار التقسيم تجددت ظاهرة الخروج على نطاق أوسع . وبتلك المناسبة أوصت جامعة الدول العربية بحسن استقبال اللاجئين بينما كانت أوامر الوكالة اليهودية هى البقاء بأى ثمن وكان الأغنياء والطبقة المتوسطة هم أسرع الناس إلى مغادرة البلاد ، كذلك أعطى المسئولون مثلا سيئا فى كثير من المدن والقرى كما حدث فى حيفا . ويتخذ الكتاب اليهود من ذلك دليلا على التقليل من مسئوليتهم فيذكرون مثلا أنه حينما قرر حاكم الناصرة عدم الخروج بقيت معه الغالبية العظمى من السكان ، ولا يستطيع أحد أن ينكر مسئولية اليهود فى إرهاب العرب خلال شهرى أبريل ومايو واضطرارهم إلى مغادرة البلاد ، فقد تعمدوا تدمير القرى لمنع سكانها من العودة ولسنا بحاجة إلى أن نذكر بحادث دير ياسين الذى أثار الرعب والفزع فى نفوس السكان ، فتلاحقت وفود اللاجئين خلال شهرى أبريل ومايو ١٩٤٨[١] .

(١) قضية فلسطين د. صلاح العقاد .

وفى أثناء الحرب كان السكان العرب يفرون عادة أمام الجيوش الإسرائيلية بمجرد أن تقترب من قراهم أو مدنهم – ويقدر سكان المنطقة العربية التى احتلت بعد ١٥ مايو بنحو ٨٠٠ ألف لم يبق منهم فى إسرائيل سوى ١٦٠ ألف ، وغادر الباقون على دفعات أولا بعد هزائم يوليو ، ثم فى أعقاب اعتداءات أكتوبر وقد كان من المستحيل قيام إسرائيل لو تشبث العرب بأوطانهم حتى قال بن جوريون أن المشكلة حلت بطريقة أفضل مما كنا نتوقع ، وذكر وايزمان «لو دبرنا لهذا الأمر جميع إمكانياتنا ما استطعنا الوصول إلى هذه النتيجة» .

وهذه التصريحات إن دلت على شئ فهى تؤكد أنه من المستحيل تعايش السكان من الجنسيتين فى فلسطين ، وأن العودة تبقى أمرا نظريا طالما أن الدولة الدخيلة قائمة .

ويلاحظ أن معظم العرب الذين فضلوا البقاء يشكلون فئات خاصة كالأقليات المذهبية ، فقد بقى جميع الدروز وهم يبلغون نحو ١٥ ألف وذهب بعضهم إلى حد التعاون مع الإسرائيليين ، ثانيا البدو الذين ليس لديهم من الوعى ما يجعلهم يشعرون شعورا قويا بتغير نظام الحكم .

وقد اتخذ العرب من مشكلة اللاجئين فى بداية الأمر وسيلة

لإحراج إسرائيلى أمام الرأى العام الدولى بمعنى أنه إذ ألحوا فى عودة اللاجئين طبقا لقرار الأمم المتحدة ، فإن إسرائيل سترفض بالتأكيد وتظهر للعالم بأنها معادية للمبادئ الإنسانية ولقرارات المنظمة الدولية .

وعندنا أن قضية اللاجئين ليست إلا فرعا من أصل وإصرار العرب على مبدأ العودة فى ظل الوجود الإسرائيلى هو نوع من السياسة غير الواقعية إذ أنه من الأرجح أن ترفض الغالبية العظمى العودة حتى لا تتحول إلى أقلية مضطهدة تخضع لحكم أجنبى .

وقد أشار إلى ذلك صراحة مندوب باكستان أثناء مناقشات الجمعية العامة فى الدورة الثالثة واقترح بدلا من العودة تبادل السكان.

وربما بنى هذه الفكرة وجود احتمال قوى خلال سنة ١٩٤٩ بإمكان تعديل الحدود لصالح العرب سواء بالعودة إلى نظام التقسيم أو حتى اقتطاع جزء من القسم اليهودى ..

وكان ذلك محور الجدل فى الجلسة الثالثة خلال شهرى نوفمبر وديسمبر ١٩٤٨ ولكن بعد توقيع اتفاقيات الهدنة الدائمة صار من اليسير التحدث عن تعديلات إقليمية .

لجنة الوساطة الدولية

اتخذت لجنة الوساطة الدولية من منطقة القدس المحايدة مقرا لها وأمضت وقتا فى استطلاع رأى الحكومات .

وبدأت المرحلة الأولى من أعمالها باستطلاع رأى الحكومات العربية ، إذ دعت ممثليها إلى الاجتماع فى بيروت من ٢١ مارس إلى ٥ إبريل . وكان من المفروض أن تبحث اللجنة مسألة القدس واللاجئين وما يترتب على ذلك من إعادة النظر فى تخطيط الحدود. ومنذ البداية لقيت اللجنة رفضا باتا من جانب إسرائيل فى بحث تدويل القدس ، وإنما أبدت استعدادا فقط للتباحث حول تأمين وصول الحجاج إلى الأماكن المقدسة – والعرب منقسمون إزاء هذه القضية ، وهؤلاء الذين قبلوا التدويل يشترطون أن تتعهد الأمم المتحدة مقدما بتنفيذه يفضلون على حال إعطاء أولوية البحث لمسألة اللاجئين .

وعندما انتقلت اللجنة إلى إسرائيل أكد لها بن جوريون أن بلاده لا تقبل فصل موضوع اللاجئين عن قضية فلسطين العامة ، أى أنها تربطها بموضوع الصلح له أو الأقل تعديل الحدود لصالح إسرائيل كما سنرى . ورفعت اللجنة تقريريها الأول والثانى إلى الأمين العام عن هذه المحادثات الاستطلاعية ، انتقلت بعد ذلك إلى

obeikandl.com

لوزان حيث دارت أهم مرحلة من المحادثات[١] . وفى لوزان حدثت ظاهرة فريدة لم تتكرر بعد ذلك فى نوع العلاقات بين العرب وإسرائيل وهو أن العرب قبلوا التباحث مع إسرائيل حول شئون سياسية.

ولو إن المحادثات لم تتم بصورة مباشرة بل عن طريقى لجنة الوساطة ما جعل الرأى العام العالمى يعتقد بإمكان التوصل إلى تسوية، وقيل فى ذلك الحين أن مشكلة اللاجئين هى التى عرقلت الوصول إلى هذه التسوية وكان ذلك فهما غير دقيق لطبيعة قضية فلسطين ويروى Berjer :

إن الملك عبد الله لم يكن الوحيد من بين الوفود العربية التى أرادت أن تتصل سرا بالاسرائيليين فى لوزان ، بل سعت كل دولة إلى أن تحصل على حدة على مكاسب خاصة تظهر بها تفوقها على الدول العربية الأخرى[٢] .

وفى أثناء هذه المحاثات وافق العرب للمرة الأولى على مبدأ التقسيم ، وهذا تراجع خطير تم نتيجة عقد اتفاقيات الهدنة التى منحت إسرائيل أقاليم أوسع مما خصص لها ، كذلك يعد تراجعا

(١) انظر ملخص هذه التقارير فى : U. N. Year book 48 - 1949 .

(٢) Berger. P. 25 .

قبول العرب التباحث مع وفد إسرائيل فى مسائل سياسية ولو عن طريق الوسيط .

وقد برزت قضية اللاجئين باعتبارها المسألة العاجلة التى تحتاج إلى الحل والتى تهتم لها الرأى العالمى فكانت نظرية العرب هى عودة اللاجئين الفورية إلى المنطقة المخصصة للعرب ، وبذا لا يتعرضون لأن يعيشوا كأقلية ، وردت إسرائيل بأنه لا يمكن بحث قضية اللاجئين منفصلة عن الصلح فإنه حسب القرار رقم ١٩٤ لابد وأن يعيش اللاجئون مع جيرانهم فى سلام ولن يتحقق هذا السلام إلا بتوقيع صلح مع العرب . كذلك اشترطت إسرائيل مقدما الحصول على بيان دقيق بعدد اللاجئين وبحث موضوع القدس والتعاون الاقتصادى[١] .

وفى أثناء المحادثات عرضت إسرائيل حلا آخر وهو ترك قطاع غزة فى مقابل التكفل باللاجئين فهى إذن لا تقنع بحدود الهدنة الدائمة وإنما تريد توسعا إقليميا جديدا مقابل حل جزئى للاجئين.

وهى تحقق هدفا ستراتيجيا آخر من وراء المطالبة بغزة وهو إبعاد الجيش المصرى عن البلاد والتخلص من حكومة عموم فلسطين ، على أن الوفود العربية كانت ترى أن حل قضية اللاجئين يعنى

(١) انظر نص قرار الأمم المتحدة بعودة اللاجئين ضمن ملاحق الكتاب

العودة على الأقل إلى حدود التقسيم ، وللمرة الأولى صاروا يطالبون بتنفيذ قرار الأمم المتحدة الذى احتجوا عليه أشد الاحتجاج فى سنة ١٩٤٧ ، وبعد هذا الأمر فى حد ذاته تراجعا خطيرا من العرب . وفى أثناء المحادثات حاولت الولايات المتحدة أن تستخدم نفوذها لدى إسرائيل بحل قضية اللاجئين حلا جزئيا ، فبعثت بمذكرة بتاريخ ٢٩ مايو تدعو إلى إعادة ٢٥٠ ألف لاجئ والتخلى عن القسم الجنوبى من النقب وإلا أعادت الولايات المتحدة النظر فى سياستها إزاء إسرائيل . ويفسر أحد الباحثين الصهاينة[1] هذا الموقف الفريد من الولايات المتحدة بأنها كانت تحاول أن تساعد الحكام العرب الموالين للغرب فى ذلك الوقت على البقاء خشيه أن يسقطوا تحت وطأة تيارات وطنية قوية يمكن أن تزداد قوة بتعقد مشلكة فلسطين . ويضيف أن الأمريكيين لابد أن يكونوا قد فكروا فى مصير شان كاى تشك حليفهم فى الصين .

وقد يكون لهذا التفسير وزنه لو أن الولايات المتحدة تابعت هذا الإنذار بالتنفيذ ولكنها لم تفعل شيئا من هذا القبيل ، وبعد أن توقفت المباحثات عدة أيام خلال شهر يوليو استأنفت من جديد من ١٨ يوليو حتى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٩ ودخلت الوفود فى

(١) Gabbay, P. 242 .

تفاصيل دقيقة تتعلق بموضوع اللاجئين[1] .

فعرضت إسرائيل إعادة ١٠٠ ألف على أن يكون لها الحرية المطلقة فى اختيار الأماكن التى تنزلهم فيها لأنها لابد وأن تراعى متطلبات الأمن والإمكانيات الاقتصادية . وفى إسرائيل الدولة الناشئة التى تأخذ بنظام الاقتصاد الموجه يصعب امتصاص اللاجئين العرب، ولذا نرى أن إسرائيل لم تكن جادة حتى فى هذا العرض وإنما أرادت أن تجس نبض العرب وأن تسترضى الأمريكان بعض الوقت معتمدة على أن العرب سيرفضون بطبيعة الحال هذا الحل الهزيل . وقد أجاب العرب بمقترحات مختلفة تماما فطالبوا بعودة جميع الذين ينتمون إلى القسم العربى وتعويض هؤلاء الذين كانوا يعيشون فى القسم المخصص لليهود ، وللمرة الثانية أراد العرب أن يؤكدوا مبدأ التقسيم بهذا الاقتراح ، ولا غرو فقد صار التقسيم فى سنة ١٩٤٩ أهون بكثير من خطوط الهدنة التى فرضت على العرب بالقوة العسكرية . وقد مثل العرب الفلسطينيون فى محادثات لوزان، وكانت الهيئة العربية العليا تحاول بقدر الإمكان أن تتخذ موقفا مماثلا للوزير المصرى ، غير أن ذلك لم يمنع بعض الفلسطينيين الأثرياء من أن ينظروا إلى القضية من زاوية مصالحهم الخاصة فقالوا إما أن تشن الحرب أو يعقد صلح ليسهل التعويض عن الأملاك !! وطالب

(١) قضية فلسطين د. صلاح العقاد .

آخرون بتكوين إسرائيل أكثر من العرب . فقد خصصت معظم ميزانيتها لإدماج اللاجئين فى البلاد المضيفة . ففى العام الأول كرست لهذا الغرض مائة مليون دولار ، مقابل ١٨ لأعمال الإغاثة العاجلة . ثم اعتمدت ٢٠٠ مليون دولار لأعمال التوطين لا الإعادة ، لمدة ثلاث سنوات .

وشجعت الولايات المتحدة هذا الاتجاه بأن عرضت مزيدا من المساعدات للدول العربية التى تقبل الإدماج[١] .

وفى ٨ ديسمبر ١٩٤٩ صدر القرار الخاص بإنشاء الوكالة ، ولم يعترض عليه أحد وإنما امتنعت الدول الشيوعية عن التصويت . ويلاحظ أنها لم تسهم على الإطلاق فى التبرعات الخاصة بالوكالة. والظاهر أنها اعتبرت المشروع من أساسه أداة للنفوذ الغربى . وفى أثناء المناقشات حول هذا الموضوع أخذ ايبان ، المندوب الدائم لإسرائيل فى الأمم المتحدة ، يلمح إلى تحول حكومته نحو التصريح باستحالة العودة . فذكر أن عودة العرب تصادف صعوبات اقتصادية فنية ، فاقتصاد إسرائيل الموجه يعتمد على عمل الفنيين . كما أن مستوى المعيشة لا يسمح بإضافة عدد كبير من غير العاملين الفنيين.

(١) سامى حكيم ص ١٧٣ .

وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين

تأسست الوكالة رسميا فى مايو سنة ١٩٥٠ أى فى نفس التاريخ الذى صدر فيه التصريح الثلاثى ، وكلا الأمرين يعد ظاهرة من ظواهر تجميد القضية . فوجود وكالة دائمة تدرب على التشغيل هو تسليم بأن اللاجئين لن يعودوا إلى أعمالهم التى ألفوها فى السابق قبل مغادرة أوطانهم .

وفى أول ميزانية للوكالة خصص عشرون مليون دولار للتشغيل و ١٣ مليون دولار للإغاثة ، وحسب قرار ديسمبر سنة ١٩٤٨ دعيت الدول الأعضاء إلى التبرع الاختيارى ، وكانت الولايات المتحدة منذ إقامة الوكالة هى التى تقدم الجزء الأكبر من هذه التبرعات ، تليها بريطانيا . وسمح للأمم المتحدة بعقد قروض لمدة معينة لسد العجز فى ميزانية الوكالة . وتأسست لجنة رقابة على أعمال الوكالة من أربع دول ، وهى : بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وتركيا ، مع إمكان إضافة ثلاثة دول أخرى من بين الأعضاء الذين يقدمون التبرعات للوكالة .

وتدل المناقشات التى جرت فى الجمعية العامة أثناء بحث الوكالة أن معظم الأعضاء توقعوا أن هذا الحل مؤقت ، فأعلن مندوبا هولندا والدنمارك مثلا أن العالم عطف على قضية اليهود ،

لأنهم شردوا بوساطة النازيين ، فلا يعقل أن تتسبب إسرائيل فى تشريد شعب آخر . ومن ثم يجب السماح بعودة كل من يرغب فى ذلك ، على أن تكون هذه العودة بصورة فردية لا جماعية . واقترحت بريطانيا وبعض الدول الأخرى إدماج اللاجئين الذين لا يرغبون فى العوة وطلبت إلى إسرائيل أن توطن أيضا العدد الذى يسمح اقتصادها بامتصاصه . وقالت يجب أن توجه أعمال الوكالة لهذا الغرض وهو إدماج اللاجئين فى اقتصاديات الدول المختلفة فى الشرق الأوسط . واعترض مندوب باكستان[1] بأن هذا الاقتراح يعتبر نقضا للقرار ١٩٤ الصادر سنة ١٩٤٨ .

وجهت الوكالة نظام التشغيل إلى الأعمال التى لا تتطلب استخدام المواد الخام حتى يتم تشغيل أكبر عدد بأقل تكلفة ، من ذلك مثلا شق الطرق أو التوسع فى الرى وهكذا تستطيع الوكالة أن تخصص الجزء الأكبر من ميزانيتها للأجور . وكما قال المندوب الفرنسى فى الجمعية العامـــة إن هذا النظام يستهدف رفع حالة اللاجئين المعنوية . وفى الدورة السادسة ١٩٥٢/٥١ ووجهت الجمعية العامة بتقريرين : الأول من لجنة التوفيق ، وهو يشير إلى ازدياد حالة الكراهية بين العرب وإسرائيل ، وخاصة فى بيئات اللاجئين ، وإذا تأملنا تقرير اللجنة نلاحظ أنه كان متأثرا بوجهة

(١) U. N. General Assembly 5th session Supplement. b.

النظر الإسرائيلية . فهى تعلل سحب إسرائيل عرضها السابق بعودة ١٠٠ ألف لاجئ بازدياد حالة الكره ضدها ، وبمجئ مزيد من المهاجرين اليهود من البلاد العربية وخاصة اليمن والعراق . وهذا التعليل ينطوى على أمرين : أولاً الظن بأن إسرائيل كانت مستعدة فى وقت ما لإعادة ١٠٠ ألف لاجئ ، وهذا غير صحيح . والأمر الثانى هو أن ذكر خروج اليهود من البلاد العربية بعد بمثابة تبرير لما تدعيه إسرائيل من أن رفض عودة اللاجئين ، يقابله اضطهاد فى البلاد العربية واضطرارهم إلى الهجرة .

والتقرير الثانى قدمته الوكالة ، وهو يسلم بصعوبة تنفيذ العودة ويتحدث عن إمكان توطين اللاجئين فى مناطق أخرى . واحتجت الدول العربية على هذا التقرير بأنه يتنافى مع العدل ومع القرارات السابقة . وحاولت الجمعية أن تتوصل إلى توصيات على أساس الحل الوسط . فأيدت طلب الوكالة برفع ميزانيتها إلى ٥٠مليون دولار لأعمال الإغاثة فى العام التالى ، وتخصيص ٢٠٠ مليون دولار أخرى لإعادة التوطين على مدى ثلاث سنوات ، على ألا يتعارض ذلك مع قرارات الجمعية العامة السابقة .

ودعت التوصية حكومات المنطقة إلى التعاون لحل هذه القضية، ولكنها لم تحدد تاريخا معينا لإنهاء أعمال الوكالة ، مما يدل

على أن المختصين توقعوا استمرار مشكلة اللاجئين دون حل . ورغم ذلك فقد رحبت الصحف العربية بالتوصية لأنها أكدت القرارات السابقة الخاصة بعودة اللاجئين ، وربما وافقت الدول العربية على التوصيات الجديدة لأنها ظنت أن الأمم المتحدة تحصر مناقشاتها منذ مدة فى أعمال وكالة الغوث ، وها هى تفتح الباب فى هذه الدورة لطرح قضية فلسطين برمتها التى كادت أن تجمد فى المنظمة الدولية[1] .

تعرضت لجنة التوفيق بعد تقديم هذا التقرير لهجوم إسرائيل والاتحاد السوفيتى . أما إسرائيل فطالبت بتصفية اللجنة لأنها فشلت فى حل جميع المشكلات وطالبت بتشكيل لجنة أخرى باسم لجنة المساعى الحميدة تتخذ مقرها فى الأمم المتحدة وتعمل من أجل تسوية عامة . أما قضية اللاجئين فيمكن تسويتها على أساس تبادل السكان ، وأضاف المندوب الإسرائيلى مغالطا بالأرقام أن نحو ٣٠٠ ألف يهودى قد اضطروا إلى مغادرة البلاد العربية ، وفى مقابل ذلك أخرج نحو ٥٠٠ ألف عربى من فلسطين .

واتهم الاتحاد السوفيتى لجنة التوفيق بأنها تخدم أغراض الولايات المتحدة ، وطالب هو الآخر بحلها قائلا إنه يجب أن تترك المشكلة

(١) قرارات مجلس الجامعة العربية ص ٧٤ .

لتحلها حكومات الشرق الأوسط فيما بينها[1] .

صوتت الجمعية العامة رغم هذه الاعتراضات على مشروع الدول الغربية بأغلبية ساحقة . ومن المدهش أن معظم الدول العربية أيدت المقترحات الخاصة بالتعاون مع الوكالة وإنهاء مشكلة اللاجئين فى أقرب فرصة ، مما يدل على أن الدول العربية أرادت أن تفسر القرار على أنه استمرار لقرار ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

وحقيقة الأمر أن القرار الجديد يحتوى على فقرات أخرى تشير إلى بحث موضوع التوطين . وعلى كل فإن توصية سنة ١٩٥٢ لم تبدل شيئا من سياسة الحكومات العربية نحو موضوع اللاجئين وقد اتخذت كل منها موقفا خاصا فيما يتعلق بمعاملة اللاجئين ومدى إدماجهم فى الدول المضيفة وتفصيل ذلك :

فى الأردن اكتسب اللاجئون صفة المواطنة بعد قرار ضم الضفة الغربية ، لذلك قالت الدوائر الغربية إن الأردن أكثر تعاوناً مع وكالة غوث اللاجئين . أما الدول العربية الأخرى فقد امتنعت عن فتح باب المواطنة أمام اللاجئين بسبب أو بآخر ، فلبنان يخشى أن يؤدى ذلك إلى الإخلال بالتوازن الطائفى . إذ أن أغلبية اللاجئين من المسلمين السنيين . أما مصر فترفض إدماج اللاجئين لأسباب

(١) U. N. Official Roerds Adhoc Political Committee. 10-1-52 P. 197 .

اقتصادية وسياسية ، وأبرزها المحافظةعلى الكيان الفلسطنى . ومن حيث الوضع القانونى أيد قانون الجنسية الصادر فى الأردن سنة ٥٤ حق كل شخص كان فلسطينيا حتى ١٥ مايو سنة ١٩٤٧ ويقيم بصفة دائمة فى الأردن ، فى أن يصبح مواطنا أردنيا . وهذا الإدماج السياسى لم يصحبه إدماج اقتصادى لضعف الإمكانيات .

ففى الضفة الغربية يعيش نحو ٩٧٢ ألف أى ٧١٪ من سكان المملكة ، ومن بين هؤلاء ٤٧٠٠ ألف مسجلون كلاجئين ويعيشون بجانب ٧٣٤ ألفا فى الضفة الغربية أى فى مساحة لا تتجاوز ٢١٦٥ ميلا مربعا معظمها قحل[١] .

وفى لبنان يعامل اللاجئون مثل الأجانب ، بل يخضعون لإجراءات أشد ، فلا يجوز لهم تملك العقارات . أما ممارسة الأعمال التجارية فلا تجوز إلا بإذن من رئيس الجمهورية . وتفرض على اللاجئين قيود شديدة فى التنقل ، ويعاقب المخالفون بمنع الإعانة ، كما أن الحصول على بطاقات الإقامة يتم بعض فحص دقيق من الجهات الإدارية . ويمنح اللاجئون تسهيلات للمغادرة ، ذلك أن لبنان يعتقد بأن سوريا تستطيع امتصاص عدد أكبر من اللاجئين .

(١) قضية فلسطين د. صلاح العقاد .

وبالفعل يعامل اللاجئون فى سوريا معاملة أفضل من حيث سهولة الحصول على الجنسية ، ولكن ينص القانون على أن الحصول على الجنسية بصورة جماعية يتطلب إصدار تشريع خاص. ويتمتع اللاجئون بحرية ممارسة التجارة والمهن الحرة . وإذن فإن سوريا مثل مصر ترفض إدماج اللاجئين لأغراض سياسية ، هى المحافظة على الكيان الفلسطينى .

وفى مصر سمح لعدد محدود بالإقامة والعمل والتجارة والتوظف ، دون الحصول على الجنسية المصرية . ويعيش معظم اللاجئين فى قطاع غزة الخاضع للإدارة العسكرية .

وقبل قيام إسرائيل كان القطاع يضم نحو ٨٥ ألفا وصلوا إلى ٢٥٠ ألف بعد احتشاد اللاجئين فيه ، ولا تزيد مساحته عن خمسين ميلا مربعا . وكان المجال الطبيعى لاقتصاد غزة هو بير سبع والقدس ، وقد انقطعت سبل الاتصال بهما ، فكان لابد من إيجاد تعويض ، وهو إقامة سوق حرة . ولا يستطيع اللاجئون مغادرة القطاع بحرية تامة إلا أن القيود ليست مشددة .

يتصل موضوع التعويضات بمشكلة اللاجئين اتصالا وثيقا ، وكانت إسرائيل تبدى الاستعداد فى بداية قيامها لدفع التعويضات لتكسب التأييد الدولى . واتخذ قرار فى الجمعية العامة بتاريخ

١٩٥٠/١٢/١٤ بتكوين لجنة لتسوية هذا الموضوع ، وتأسس مكتب اللاجئين فى القدس لتقدير الممتلكات ، واستقر هذا المكتب بالقدس . وكانت حجة إسرائيل التى راوغت بها المكتب هى عدم توفر سجلات منظمة ، وبالتالى يصعب تقنين الأملاك ، إلا أن الإجراءات التى كانت تتخذ منذ قيام إسرائيل تدل جميعا على نية الاستيلاء على الأملاك قبل النظر فى التعويض . ففى ٣٠ يونيو سنة ١٩٤٨ صدر[١] قانون يعلن أن كل أرض متروكة توضع تحت إشراف الدولة ، وتمنح الحكومة الأرض للمزارعين الجدد . وقد راعت الحكومة الإسرائيلية أن توطن المهاجرين اليهود فى مختلف الأراضى المتروكة لخدمة أغراض استراتيجية ، معطية ذلك الأولوية على متطلبات الاستغلال الاقتصادى . كما جمدت إسرائيل الأموال العربية المودعة فى بنوك فلسطين ، وقدرتها بـ ٤ مليون جنيه ، بينما يقدرها العرب بـ ٥ ملايين . ويلاحظ أن العرب لم يفكروا فى تخريب ممتلكاتهم قبل مغادرتها على الأقل لأنهم كانوا يأملون فى العودة بعد انتصار الجيوش العربية . ولهذه النقطة أهميتها ، إذ أن إسرائيل عند تقييم الممتلكات أرادت أن تراعى الوضع الذى كانت عليه عند مغادرة أصحابها لها ، وعلى ذلك فإن الإستيلاء عليها سالمة وإمكان استغلالها بسهولة بعد

(١) انظر Gabbay chap. 7. .

ذلك ، لابد وأن يؤخذ فى الاعتبار إذا أضيفت إليها قيمة جديدة ، إذ أن الملاك العرب هم الذين وضعوا الأساس فى إقامة معظم البيارات الموجودة الآن فى إسرائيل .

وفى أوائل سنة ١٩٤٩ أعلن موسى شاريت أن حكومته مستعدة لدفع التعويضات شريطة أن تستخدم لتوطين اللاجئين فى أماكن جديدة ، ثم أبدت إسرائيل شيئا من التساهل المؤقت أثناء النظر فى قبول عضويتها فى الأمم المتحدة .

إلا أن الفكرة المسيطرة على الكنيست عند المناقشات التى توالت حول هذا الموضوع ، هى ربط التعويضات بمسألة توطين اللاجئين ، بل إن الأحزاب المتطرفة مثل حيروت طالبت بحساب تعويضات أخرى ، ادعت أنها تستحق على البلاد العربية التى تدخلت عسكريا فى فلسطين ، وسموها تعويضات حرب .

وبالتالى يسقط حق العرب الفلسطينيين فى التعويضات . كما يسقط حقهم فى العودة حسب آراء المتطرفين . وعلى كل حال فإن إسرائيل منذ البداية أعلنت أنه فى حالة دفع التعويضات لابد من مشاركة الأمم المتحدة والدول الكبرى وتحمل العبء الأكبر منها . ورفضت بشدة فكرة تعيين وصى على ممتلكات اللاجئين ، ومازال

هذا الموضوع يتعثر فى الأمم المتحدة ولا يحظى بتأييد أغلبية الثلثين فى الجمعية العامة .

مهما قيل من إمكان إعادة توطين اللاجئين ، فإن بقاء المشكلة لا يمكن أن لجنة تكون مهمتها رعاية اللاجئين العرب داخل إسرائيل . وبمضى الوقت أخذت إسرائيل تضع العراقيل أمام مبدأ العودة فهى تارة تحتج بصعوبة الامتصاص الاقتصادى سيما وأنه يتوافد على إسرائيل مزيد من المهاجرين وقد دعى ٦٠٠ ألف يهودى إلى استيطان فلسطين بعد التوسعات التى تمت فى يوليو سنة ١٩٤٨ ، ثم احتجت إسرائيل بأن أمنها يتعرض للخطر من جراء العودة ما لم يعقد صلح من العرب .

ثم أثير موضوع الهجرة اليهودية من البلاد العربية وقدرت إسرائيل عدد اليهود الراغبين فى مغادرة البلاد العربية واستيطانها بـ ٤٢٠ ألف . وكثيرا ما تشبه إسرائيل نزوح يهود البلاد العربية وخروج العرب من فلسطين بعمليات تبادل السكان وهذه مغالطة كبرى . ومن داخل إسرائيل ارتفعت أصوات المعارضة لمجرد فتح باب العودة ، وتزعم هذه المعارضة حزب حيروت .

كيف كان موقف لجنة الوساطة من هذه الآراء المتعارضة ؟

الواقع أن اللجنة لم تستطع أن تتخذ إجراء فعالا ، حتى أنها لم تقدم صيغة اقتراح بحل ، بل اكتفت بتحديد بعض النقاط الرئيسية وطلبت إلى الطرفين أن يبديا رأيهما فيها من هذه النقاط مصير المرحلين ، فهل يصبحون مواطنين إسرائيليين ؟ وهل تدعو الدول العربية إلى العودة على هذا الأساس ، أم على أساس احتفاظ العرب بصفتهم القومية ، وما مدى استعداد إسرائيل لكفالة الحرية وعدم الاضطهاد لهؤلاء العائدين .

وإلى أى مدى تستطيع إسرائيل أن تمتص العائدين اقتصاديا ، وهل تتم العودة عن طريق لجنة دولية للتوطين أم يترك لإسرائيل الحرية فى ذلك ، وما هو العدد الذى تقبله إسرائيل وعدد اللاجئين الذين ستمتصهم البلاد العربية .

obeikandl.com

مغزى قضية اللاجئين

كانت الفكرة السائدة عند العرب هى أن مشكلة اللاجئين أفضل رمز على حيوية القضية ، والدليل على ذلك هو أن الدورات المتعاقبة للجمعية العامة أبدت استعدادا لبحث هذه القضية . وما زال القرار ١٩٤ لسنة ١٩٤٨ قائما من الناحية النظرية ، وبوسع العرب أن يتهموا إسرائيل فى أى وقت بإمتناعها عن تنفيذ هذا القرار الخاص بحق اللاجئين فى العودة والتعويض عن الذين لا يرغبون فيها .

وهذا المنطق سليم لو أنه كان بنية العرب استخدام هذه القضية التى يحرزون فيها كسبا دبلوماسيا للتمهيد لتنفيذ القرار بالقوة طالما أن الأمم المتحدة عاجزة عن ذلك ، أما الاكتفاء بهذا الكسب الدبلوماسى فإنه يهبط بالمشكلة إلى مجرد مناورة سياسية على حساب الجانب الإنسانى ، فلا تستحق المناورة أن يظل جزء كبير من الشعب الفلسطينى مشردا نحو أكثر من خمسين عاما ، وهذا ما جعل كثيرين من الكتاب والمراقبين السياسيين فى الغرب يصفون الحكام العرب بأنهم يستخدمون قضية فلسطين للاستهلاك المحلى .

وحينما طرحت الوفود العربية قضية اللاجئين للمرة الأولى فى مجلس الأمن كان ذلك بمناسبة تدخل الجيوش العربية ، فذكر

الممثلون العرب أن هناك نحو ربع مليون من الفلسطينيين شردوا من ديارهم ، وأن هدف التدخل العربى هو إعادتهم إلى أوطانهم . وإذن لم يستهدف العرب فى هذه الحقبة الا الاستعطاف أو طلب المعونة. غير أنه بعد حرب الأيام العشرة وزيادة عدد اللاجئين ، تأكدت الحاجة الملحة للمعونة الدولية ، وشغل برنادوت بهذا الموضوع بالدرجة الأولى . واستخدم نفوذه لكى يقنع الحكومة الإسرائيلية بإعادة اللاجئين ، ولم يرفضن بن جوريون رفضا باتا ، وإنما وضع شروطا من شأنها أن تجعل العودة مستحيلة ، فقال لابد أن ترتبط العودة بتسوية عامة حتى لا يتحول العرب العائدون إلى طابور خامس، واشترط على كل حال ألا يعود أحد فى سن القتال ، والغرض من ذلك هو التظاهر بأن ما يعنى إسرائيل هو أمنها والحقيقة أن إسرائيل كانت مصممة على عدم السماح للاجئين بالعودة ، إذ أن مغادرة العرب لبلادهم كانت هى الفرصة الذهبية التى أفسحت المجال لـ ٦٠٠ ألف يهودى للهجرة فى أعقاب قيام الدولة الجديدة .

وعلى عجل أبدت هيئات مختلفة استعدادها لتقديم المعونات العينية للاجئين من بينها شركات البترول العاملة فى البلاد العربية ، وجمعيات إغاثة الطفولة . وتكفلت الأمم المتحدة بالتنسيق والإدارة . غير أن الأشهر الأخيرة من سنة ١٩٤٨ شهدت اعتداءات إسرائيلية

جديدة، وتدفق أفواج أخرى من اللاجئين على البلدان العربية المجاورة . واقترن ذلك بحلول فصل الشتاء فتجاوز الأمر إمكانيات هذه الهيئات ، وتعين على الأمم المتحدة أن تقوم بعمل مباشر وذلك بتخصيص ميزانية محددة ، وتعيين هيئة خاصة للإشراف على إغاثة اللاجئين . وجمعت التبرعات من الدول الأعضاء ، ولم تسهم الحكومات العربية فى النفقات ، لأن نظريتها هى أن العرب كانوا ضحية العدوان ، وعلى دول العالم التى سمحت به والدول الكبرى التى تعد مسئولة إلى حد كبير أن تتكفل بهذه النفقات .

وعندما عادت الجمعية العامة إلى الاجتماع فى خريف سنة ١٩٤٩ كانت اتفاقيات الهدنة الدائمة قد عقدت فضعف الأمل فى العودة . لذا أوصت لجنة التوفيق بتكوين لجنة اقتصادية تتوفر على دراسة الموضوع وتقدم مقترحاتها إلى الجمعية العامة فى نفس الدورة .

واعترفت اللجنة فى تقريرها بأن مشكلة اللاجئين يجب أن تحتل مكان الصدارة من قضية فلسطين ، وأنه طالما لا يوجد حل سياسى فمن المنتظر أن تبقى هذه المشكلة معلقة فترة من الزمن ، ولذلك يجب الاعتماد على معونة الأمم المتحدة ، إلا أن هذه المعونة يجب أن تكون على شكل صدقة كما حدث فى السنة الأولى ،

بل لابد من إفساح مجال العمل أمام اللاجئين ، وذلك بوضع برنامج للتشغيل ولاستغلال مياه نهر الأردن بصورة أفضل . وأقرت اللجنة أن الأقطار المضيفة غير قادرة على تحمل نفقات هذه المشروعات ، ولذا لابد من أن تتكفل الأمم المتحدة بها . وأن تقدم المعونة مباشرة حتى نهاية سنة ١٩٥٠ .

وإذن فإن اللجنة الإقتصادية هى صاحبة الإقتراح بإنشاء وكالة لغوث اللاجئين وتشغيلهم على أن تكون هـذه الوكالة مستقلة إداريـا ، وتمارس أعمالها بالتعاون مع الحكومات المضيفة .

وقد وافقت الدول العربية على إنشاء الوكالة متمسكة بهذا المبدأ الرمزى وهو أنه طالما لا يوجد اتفاق سياسى ، فإن وجود الوكالة لا يسقط حق العرب فى العودة .

وحقيقة الأمر أن فكرة الوكالة انبثقت أولا عن جيمس مكدونالد ، أول سفير أمريكى فى إسرائيل ، والصديق الحميم للصهيونية . وقد رحبت بها الحكومة الإسرائيلية . وإذا تأملنا فى خطط الوكالة نلاحظ أنها خدمت أهداف نتجاهل آثاره السياسية ، فما زال اللاجئون يعلمون أنباءهم بأنهم من اللد أو الرملة أو عكا . وإذا مر رجال الأمم المتحدة وسألوا أحد الصغار : من أين أنت ؟ أجاب : أنا من هذا البلد أو ذاك ، من الأراضى المحتلة .

وخلاصة القول إن اللاجئين يؤيدون بصفة جماعية مبدأ الكيان الفلسطينى ، ولكن إذا أتيح لهم كأفراد يجدوا عملا فى أى مكان فإنهم لا يستطيعون أن يرفضوا تلك الفرصة .

يقول المؤرخ البريطانى توبنى :

«أعتقد أن هناك نقطتين هامتين . الأولى عودة اللاجئين إلى ديارهم[1] والثانية استخدام اللاجئين كسلاح سياسى . وأعتقد أن هناك تناقضا فى الموقف الإسرائيلى . فاليهود يطالبون بعودة اليهود إلى فلسطين رغم أنهم تركوها منذ عام ١٣٥ ميلادية ولم يكن فى فلسطين قط كتلة ملحوظة من السكان اليهود . وان كنت أوافق على أن قلة من اليهود عاشت بصورة مستمرة فى فلسطين وهى أقلية قليلة . ومنذ عام ٦٤ قبل الميلاد لم تقم دولة يهودية فى فلسطين . ولقد أدعيم الحق فى العودة لا كما نص وعد بلفور فى صورة وطن قومى ولكن فى الصورة المتطرفة للدولة . ولكنكم تنكرون فى نفس الوقت على العرب الذين ارغموا على مغادرة فلسطين ، الجزء الإسرائيلى فى فلسطين ، عام ١٩٤٨ ، تنكرون عليهم ما يعتبر الحجة الأساسية التى يستند إليها الشعب اليهودى . هذا موقف متناقض . عليكم أن تتأملوه . ثم نقطة استخدام الاجئين

(١) فى مناظرة بين المؤرخ البريطانى الشهير أرنولد توينبى وسفير إسرائيل فى كندا .

كسلاح سياسى ، لقد أتيحت لى فرصة تجاذب أطراف الحديث مع ممثلى الدول العربية خلال السنوات القليلة الماضية – وأعتقد أن المنظمة الصهيونية وحكومة إسرائيل تعيشان فى بيت زجاجى بالنسبة لموضوع استخدام اللاجئين كسلاح سياسى . ذلك أنى أرى شبها بليغا بين استخدامهما اللاجئين اليهود كسلاح سياسى وما ينسبونه للغرب فى هذا المجال . وقد حدث الكثير وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية مما يوضح كيف وجهت الصهيونية اللاجئين اليهود فى فلسطين ، استغلالا لمحنتهم فى سبيل توطيد السياسة الصهيونية ، بدلا من اقرارهم فى أستراليا أو أمريكا الشمالية حيث كان ينتظرهم المأوى والمستقبل .

ان إسرائيل ، تحمل مسئولية هروب بعض اللاجئين نتيجة طردهم وذبح الفلسطينيين العرب ، لأن الإسرائيليين استولوا على ممتلكات هى حق مشروع لا جدال فيه للعرب الفلسطينيين . وانى أقول الآن فى صراحة أن هذا العمل سرقة وأنه عبء ثقيل على الضمير اليهودى . وعلى اليهود جميعا – وخاصة الإسرائيليين – أن يعملوا على ازالة آثار هذا العمل . فهذا أمر لابد أن يصفى بواسطة اليهود أنفسهم والإسرائيليين خاصة ولكن نخص أيضا الطوائف اليهودية بالعالم كله لأن هذه الطوائف هى التى مكنت لقيام إسرائيل بالمساعدات المالية والتأييد السياسى وخاصة مواطنى

كندا والولايات المتحدة الذين ينتمون للدين اليهودى والذين لهم أعظم سلطة مالية وأشد أثر سياسى فى هذا الأمر[1] .

وهكذا نجدنا نواجه مشكلة لا تزال مستمرة هى كيف نحول دون أن يلد هذا الاثم الذى أنزل بالناس – والذى جاء نتيجة اثم سابق عليه – من أن يلد آثاما جديدة . لقد كنت فى معسكرات اللاجئين فى قطاع غزة واستمعت إلى أغانى الأطفال التى ينشدونها فى المدارس . وإذا أردتم أن تروا كيف كان اليهود أثناء ثلاث عشرة سنة أو أربع عشرة سنة بعد نفى نبوخذ نصر لليهود ، فاذهبوا إلى قطاع غزة وستلمسون روح العرب هناك وحالتهم الفكرية . انهم يقولون نفس الأشياء التى كان يقولها اليهود إذ ذاك والتى ظلوا يقولونها فيما بعد : «هذه هى بلادنا . وأنا لعائدون» .

(١) المصدر السابق .

obeikandl.com

النزوح العربى ومأساة اللاجئين

كان تصريح بلفور مع نتائجه مفتاح هذه المأساة التى تعتبر أكبر مأساة إنسانية فى القرن العشرين . فقد استغل اليهود هذا التصريح وسندتهم السلطة المنتدبة فأنشأوا الوكالة اليهودية فى الأراضى المقدسة ووجهت هذه الوكالة جهودها إلى تحقيق أمرين اثنين : أولهما الاستيلاء على أرض بأى ثمن ، ثانيهما تكثيف الهجرة اليهودية من أرجاء العالم فى المنطقة المأهولة بأهلها من آلاف السنين[1] .

وكان أول حدث لهذه المأساة امتلاك اليهود مرج ابن عامر الذى يملكه شخص من عائلة سرسق اللبنانية وتقدر مساحة هذا المرج بأكثر من مائتى ألف دونما فيه اثنتان وعشرون قرية تزرعها تسعمائة أسرة عربية فلما تمت صفقة البيع أجبرت هذه الأسر على هجر قراها فكان هذا النزوح أول منحدر إلى اللجوء فانتشر هؤلاء الفلاحون الذين لا يحسنون غير الزراعة فى المدن والقرى

(١) انظر فى هذا الفصل فظائع الصهيونيين فيما يأتى :

(1) Arther Koestler. Promise Fullfilment, Palestin 1917 - 1949 New Yerk 1951.

(2) Davis, John, H. the Evasive Peace, A study of Zionist - Arab Problem London. 1968.

وعلى المرء أن يتصور حالة ابن القرية الذى فقد أرضه وجاء إلى المدينة ماذا يصنع ؟

وبخروج هؤلاء المنكوبين أقيمت حالا فى المرج المستعمرات الصهيونية كذلك أعطت حكومة الانتداب امتياز استخراج أملاح البحر الميت ومعاونة لليهود ومنحتهم أرضا واسعة كما أجرت للشركة أربعة وستين ألف دونما ووضعت ضرائب على الفلاحين فاضطر بعض الملاكين لبيع قسم من أراضيهم من أجل العيش وسداد الديون ومع ذلك فلم يستطع اليهود استملاك أراضى واسعة عن طريق الشراء . ونشطت الوكالة اليهودية ببناء المستعمرات وتكاثرت الجاليات اليهودية المستوردة من الخارج ، فأنشأت منظمات وكونت جمعيات سرية وكثر التصادم بين العرب واليهود وارتفع نزوح العرب الإجبارى وبلغ ذروته فى عام ١٩٤٨ عندما أعلنت بريطانيا أنها تتهيأ لإخلاء البلاد وأنها سوف تنهى الإنتداب فى ١٥ (مايو ١٩٤٨) فنهيأ جيش الهاجاناة لتنفيذ مخططه المرسوم الذى دل عليه تنفيذه . وتعمل تحت امرة هذا الجيش عصابات أشدها شراسة وقسوة عصابة الأرغون زفاى ليؤمى ، وقد ثبت أن الهجمات الصهيونية التى حدثت بين عامى ١٩٤٥ ، ١٩٤٧ كانت وفقا لاتفاق سرى بين الهجاناة والأرغون .

مذبحة قرية دير ياسين[1]

فى ٨ أبريل ١٩٤٨ زحف جيش الهاجاناة على قرية دير ياسين واستولى عليها وسلمها إلى عصابة الأرغون بقيادة مناحيم بيجن فدمرها وقام فيها بمجزرة بشرية مروعة كان لها تأثير نفسى عميق ومخرب . يقول السيد جاك رينيه مندوب الصليب الأحمر لقد زرت خرائب قرية دير ياسين فاكتشفت ٢٥٠ جثة من الرجال والنساء والأطفال مكدسة فى بئر وكانت هذه المذبحة بمثابة إنذار وإدخال الرعب على قلوب الجماعات العربية لأجل أن يتركوا القرى والمدن وقد استغلها اليهود وتبجح بها بيجن لما احدثته من التأثير النفسى الهائل على أنفس العرب فهجروا قراهم واستمر اليهود باتخاذ هذه الطريقة ونفذوها فى قبيه وقلقيلية وخان يونس وغزة[2] . وقبل أن تبدأ الجيوش البريطانية بالجلاء زحفت العصابات العاملة تحت أوامر الهاجاناة على القرى واستعملت وسائل اجرامية مرعبة منها تلك القنبلة التى صنعها الصهيونيون لمدفع الهاون دافيدكا تحمل ١٦ رطلا من المواد المتفجرة فكانوا يلقونها دون

(١) مدخل لدراسة مطامع اليهود فى فلسطين قديما وحديثا . د. محمد بديع شريف.

(٢) يقول الإرهابى السفاح بطل مجزرة دير ياسين مفتخرا بدوره : لولا دير ياسين لما قامت إسرائيل !!

هدف فتحدث تدميرا نفسيا وماديا . ومنها أيضا قنبلة على هيئة براميل مملوءة بخليط من المتفجرات والبترول تركب على عجلتين من المطاط يحتويان جهاز التفجير ويجرى دحرجة هذه البراميل من الأعالى فى الطرقات المنحدرة إلى أحياء المدن والقرى فتصطدم بالجدران والأبواب فيحدث عنها انفجارات مرعبة ولهيب محرق يأتى على كل شىء يلتقى به .

وكانت تصاحب هذه الانفجارات أصوات الرعب المسجلة بصورة خاصة ترتفع من مكبرات صوت تحملها سيارات جيب وهذه الأصوات مكونة من عويل وأنين المكروبات للنساء العربيات ورنين أجراس سيارات الأطفاء ويصحب تلك الأصوات صوت من أعماق القبور ينادى : « يا جميع المؤمنين أنقذوا أرواحكم اهربوا وانجوا بحياتكم ، اليهود يستعملون الغاز والأسلحة الذرية اسرعوا فى الفرار ناجين بأنفسكم على اسم الله «هذه الأصوات تدعى (أبواق أريحا)[1] .

وأبواق أريحا هذه هى الأبواق التى أرشد إليها «يهوه» إله اليهود القبلى الذى أرشد يشوع بن نون ليستعملها عند غزوه لمدينة اريحا حيث أمر قائلا ليشوع :

(١) المصدر نفسه .

«أدخل أريحا وأنا أمامك ، واقتل بحد السيف كل ما فى المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى الحمير والغنم والبقر وقبل أن تدخلها يحمل سبع من الكهنة «الأيواق» يدورون بالمدينة سبع مرات ينفخون بالأبواق السبعة فإذا سمع صوت قرن الهنتاف هتف الشعب فتسقط المدينة[1] » .

فى ٢١ ابريل ١٩٤٨ شزع القائد البريطانى فى سحب قواته وأخير القيادة المشتركة من الهاجاناة والأرغون عن عزمه على الأنسحاب وكانت هذه العصابات تتحفز للانقضاض على العرب ولم يخبر زعماء العرب بما عزم عليه وقد بدأ الهجوم الصهيونى على الأحياء العربية مستخدمين الاذاعة ومكبرات الصوت التى تحذر السكان العرب بالابتعاد عن سكنات المرتزقة (وهم المتطوعون العرب) وأنذرتهم بترحيل نسائهم وأولادهم قبل وصول فرق جديدة من العراقيين وتعهدت بتسهيل المرور فى أمان والمرافقة إلى المناطق العربية وحذرت من العواقب المؤلمة .

وعند غروب الشمس أخذت قنابل الهاون (دافيدكا) تتساقط على الأحياء العربية من مرتفعات الكرمل وتدحرجت «براميل» المتفجرات فى الطرق والممرات واختلطت الانفجارات بأزيز رصاص

(١) (يشوع – ٦) .

البنادق والرشاشات وأصوات أيواق أريحا والعرب يرون بأعينهم انسحاب العسكر البريطانى .

وعندما أرخت الظلمة سدولها ملأ الرعب قلوب العوائل العربية فاندفعوا بالهروب من هذا الحجيم دون أن يلتفتوا إلى أى شىء له ثمن طالبين النجاة من مذابح اليهود وتعذيبهم ويقول مناحم بيجن متبجحا أن العرب خرجوا وهم يصرخون «دير ياسين» «دير ياسين» .

وقد وصفت صحيفة (الجيروساليم بوست) الحياة فى اليوم التالى بقوله : «إن الهجوم الصهيونى كان يرغم العرب على الفور فى طريق واحد مفتوح إلى البحر وكانت الممرات الضيقة مزدحمة بالشيوخ والأطفال والنساء الذين مات كثير منهم إختناقا تحت الأقدام أو غرقا عند نزولهم فى الزوارق المحملة فوق طاقاتها وكثير منهم مات بالرصاص الذى كان يتساقط على رءوسهم بتوجيه صيهونى » .

وفى ٢٥ أبريل ١٩٤٨ هاجم الصهيونيون يافا بوحدات الأرغون وهى العصابات التى تولت مذبحة دير ياسين قبل أسبوعين.

من هذا التاريخ ويافا المفروض فيها أنها من المدن التى تقع ضمن الدولة العربية فى مشروع التقسيم فبدأ قصفها بمدافع الهاون وهى مدافع يزعم الصهيونيين أنهم استولوا عليها من معسكر بريطانى

بعد شن غارة عليه واندفع اليهود إلى المدينة ينهبون كل شئ تقع أيدهم عليه ويحطمون كل شئ مما يتعذر حمله واستخدمت عصابة الأرغون خطة أبواق أريحا وقنابل «البراميل» واستعرض الأسرى العرب أمام اليهود كما فعلوا بعد حادث دير ياسين وأنضم بعد ذلك إلى الأرغون قوات الهاجاناة والبالماخ واندفعوا للنهب والسلب والتخريب الوحشى وقد صمدت الحامية العربية فى يافا مدة ثلاثة أسابيع وسلمت المدينة فى ١٢ مايو ١٩٤٨ أى مع وجود السلطة البريطانية المنتدبة المسئولة كما هو مفروض على تكوين دولة فلسطينية قادرة على إدارة نفسها .

واتجه اليهود إلى عكا التى كان من المفروض أن تقع ضمن الدولة العربية فى مشروع التقسيم وقد ازدحم فيها السكان باضافة لاجئى حيفا وبدأ القصف بمدافع الهاون على المدنيين المكدسين فيها وطلب القائد استلام المدينة . وفى ١٧ مايو ١٩٤٨ احتل الصهيونيون مدينة عكا وبدأ افراغها من السكان العرب فلم يبق من عدد ٨٠٠٠٠ نسمة إلا ٢٠٠٠ نسمة وانفرد الصهيونيون فى أفراغ القرى والمدن ففى الجليل الشرقى استولوا على طبريا وأخلوها من السكان بخطة بوق اريحا ومدافع الهاون وبراميل المتفجرات وعندما سحبت القوات البريطانية وحداتها فى ٢٨ أبريل ١٩٤٨ من صفد انطلقت عصابات البالماخ من طبريا فاستولت على كل

القرى العربية الواقعة فى طريقها منفذة سياسة الأرض المحروقة أى أنها تخربها كى لا يعود أهلها المهجرين إليها مرة ثانية أو كما وضعت الصهيونية اسم الشفرة لها «المكنسة» Mantaler ثم هوجمت صفد بمدافع الهاون والبراميل المتفجرة مصحوبة بخطة بوق اريحا .

وفى ١١ يوليو ١٩٤٨ قاد موشى ديان كتيبة من الكوماندوس بسيارات الجيب إلى مدينة اللد والرملة وأخذ أفراد هذه الكتيبة مع قائدهم يطلقون نيران بنادقهم ومدافع الرشاشات فى الشوارع وعلى الأحياء دون تمييز فتكدست فى الطرقات جثث الرجال والنساء والأطفال دون رحمة ، وفى اليوم التالى قاموا بجمع كل الرجال العرب القادرين على حمل السلاح وحبسوهم فى حظائر خاصة وأخذت السيارات تطوف الشوارع وتعلن مكبرات الصوت أنه لن يتم تزويد الطعام ولا الماء وأمام العرب ٤٨ ساعة للخروج إلى شرق الأردن وشرعت عساكر اليهود فى نهب المدينتين وسلبهما ، وفى ١٣ يوليو ١٩٤٨ أوضحت المكبرات أن طريق اللد يكون فوق جسر هنداس وطريق أهل الرملة فوق جسر كوباح وكان سكان المدينتين ٦٥٠٠٠ أضيفوا إلى اللاجئين .

وفى طريق الكيد يقول إيجال آلون قائد البالماخ لقدر رأينا أن

تظهر الجليل حيث لم يبق لدينا غير خمسة أيام عن ١٥ مايو ١٩٤٨ لنوجد أرضا يهودية فيها ويتبين لى أن هذه الحرب الطويلة قد أضعفت قواتنا وأمامنا واجبات كبيرة لوقف الهجوم العربى المنتظر فعلينا أن نتخذ وسيلة أخرى للخلاص من الجاليات العربية الموجودة فى الجليل فجمعت مختارى اليهود الذين لهم اتصال شخصى بمختلف القرى العربية وطلبت منهم أن يهمسوا فى أذان العرب أن القوات الإسرائيلية الكبيرة قادمة وأنها قررت أن تحرق القرى جميعها فى الحولة وأوصيتهم بأن يتظاهروا للعرب أنهم أصدقاؤهم وأن لهم متسعا من الوقت للهروب وقد وصلت هذه الحيلة إلى هدفها تماما ووقع بأيدينا مركز الشرطة فى حلسا دون أن تطلق رصاصة وهكذا أجلينا العرب من هذه المنطقة الواسعة .

ومن وسائل الكيد التى استعملها اليهود فى الأراضى العربية أنهم بثوا أفراد عصابة تابعة للهاجاناة تلبس الملابس العربية وتنطق اللغة بلهجة أهل البلاد مهمتها بث الإشاعات والذعر والتقاط المعلومات التى يمكن استغلالها للإرهاب والتهجير . وبعد كل هذا يزعم اليهود أن العرب تركوا البلاد مختارين يقول الجنرال جلوب باشا لو أن المهجرين كانوا مختارين فى ترك البلاد لما خرجوا بملابسهم فقط لقد خرجوا فى حالة من الذعر والفوضى المملؤة بالرعب بحيث لم يستطع الزوج أن يجد زوجته ولا الاباء أبناءهم

ويشبه وصفه وصف يوم الحشر الذى وصفه القرآن الكريم «يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه» .

وتقول صحيفة الايكوميسن اللندنية فى ٢١ أغسطس ١٩٤٨ لقد جرى تجريد النازحين العرب بصورة منتظمة من كافة أمتعتهم وممتلكاتهم .

وحين بدأت الأرتال الطويلة فى مسيرتها أخذت القوات الإسرائيلية تطلق النار عليهم أو كما يقول الميجور أوبلانس «لقد فتحت نيران المدافع فوق رؤوسهم لمساعدتهم فالحرارة بلغت مئة درجة فى الظل » ولم يملك العرب الطعام والماء طيلة ثلاثة أيام والذين بقى معهم شئ أخذعند عبور الجسر ثم حلقت الطائرات الإسرائيلية الصغيرة لتنشر أزيزها فوق الصفوف الطويلة من النازحين المطرودين وهم يجتازون التلال مجهدين ومات أطفال لا يحصى عددهم بسبب العطش وحده لكى يصل معظم النازحين فى نهاية المسيرة إلى التلال اليهودية وإلى وادى الأردن أو مرتفعات شرق الأردن أما فى الفالوجا بعد إستسلام القوات المصرية سئل السكان العرب عما يريدون البقاء أم الرحيل فقالوا نريد البقاء عند ذلك نسف اليهود العديد من المنازل بالديناميت وجرى إنذارهم بأن القوات الآتية سوف تعاملهم أكثر خشونة فغير العرب رأيهم وتم

ترحيلهم إلى شرق الأردن . وفى جناح السرعة أقيمت المستوطنات اليهودية وامتلكت البيوت والمزارع العربية .

لقد أنكر الكونت برنادوت هذه الفضائح اللانسانية قبل إغتياله بيد الصهيونيين وصرح أن لهذا الشعب البرئ الذى أخرج من دياره فى ظلال هذا الرعب وقسوة الحرب حق العودة إلى دياره وأن يؤكد على ذلك وينفذ وقد اتخذت جمعية الأمم المتحدة قرار ١٩٤ . بتخيير اللاجئين فى العودة إلى ديارهم أو التعويض عما فقدوه . وأرسل شرتوك وزير خارجية إسرائيل جوابا إلى برنادوت أنكر فيه حق العرب فى الرجوع محتجا بصعوبة عودتهم إلى الوضع الطبيعى الذى يشكل صعوبة لإسرائيل . ولكنه لم يتذكر أنهم يعودون إلى وطنهم وإلى بيوتهم وأملاكهم وأنه هو يجلب من آفاق العالم اليهود ليأويهم فى هذه البيوت ويبنى لهم المستعمرات فى حقول العرب .

لقد كان العرب المهجرين إجباريا من بيوتهم وأعمالهم ووظائفهم يملكون ويسكنون حتى نهاية ١٩٤٨ ٨٠٪ من مجموع المساحة الأرضية التى يحلتها الصهيونيون فما هى حجة شرتوك ؟ أنها حجة المغتصب .

وبناء على التقرير الذى قدمته لجنة المسح الاقتصادية لهيئة الأمم المتحدة فى الشرق الأوسط أن عدد الفلسطينيين الذين أجبروا على

obeikandl.com

ترك بلادهم أثناء حرب ١٩٤٨ يقدر بحوالى ٧٢٦٠٠٠ وما عدا هؤلاء يوجد حوالى ٦٥٢٠٠٠ يحتاجون إلى معونة .

وبدلا من أن تقوم هيئة الأمم المتحدة بتنفيذ القرار ١٩٤ تركت هؤلاء يعيشون على صدقات الأمم وعينت لحنة دعيت «لجنة غوث اللاجئين وتشغيلهم» (UNRWA) ونتيجة لحرب ١٩٦٧ عندما احتلت غزة وسيناء والضفة الغربية للأردن والمرتفعات السورية خرج العدد الكثير من الفلسطينيين يفتشون عن ملجأ لهم فى الأردن وسوريا ومصر ومن هؤلاء عدد كبير من اللاجئين القدامى وفى اجتماع طارئ لهيئة الأمم المتحدة قررت عودة اللاجئين إلى ديارهم فى الأراضى المحتلة وقدم ٨٥٪ من هؤلاء طلبا للرجوع ولكن الصهيونيين لم يسمحوا لأكثر من ١٥٠٠٠ فى أول يناير ١٩٦٨ وصرح أشكول رئيس وزراء إسرائيل فى الكنيست بأن اتجاه إسرائيل الاحتفاظ بغزة والقسم الشرقى من القدس دون أن يلتفت إلى قرار هيئة الأمم المتحدة ويظهر من تصريحه أن جشع إسرائيل وأطماعها لا تقف عند حد وصرح موشى ديان فى مقابلة مع (C. B. S) الأمريكية عندما وجه إليه سؤال هل يمكن لإسرائيل أن تستوعب الشعب العربى فى الأراضى المحتلة فقال : من الوجهة الاقتصادية نعم ! ولكن من الوجهة السياسية لا ! لأنه إما أن تكون عند ذلك أقلية أو تكون هناك دولة عربية يهودية ولا نريدها نحن . إننا نريد

دولة يهودية فقط . ولأجل أن نعرف موجزا عن وضع اللاجئين نقتطف ما يلى من تقرير «لجنة غوث اللاجئين وتشغيلهم» لسنة ١٩٦٩ - ١٩٧٠ .

جاء فى التقرير : أن عد اللاجئين مستمر بالنمو مما يدعو إلى مزيد من المساعدة فإنه يوجد الآن أكثر من ١,٤٠٠,٠٠٠ اسم فى قائمة لجنة الغوث الذين يحتاجون إلى المعونة وهذا العدد لا يشمل الذين خرجوا عام ١٩٦٧ فأن عناية هؤلاء تحولت إلى الدول التى يعيشون فيها ولم تطلب معونة لجنة الغوث إلا من حكومة الأردن وفى قائمة ١,٤٠٠,٠٠٠ يوجد ١٥٠,٠٠٠ لم يستلموا أية معونة من لجنة الغوث وقد وضع حرف "N" أمام أسمائهم أو No Service هؤلاء نقلوا فى اضبارة غير منفذة انتظارا لأية معونة ترد من لجنة أخرى وإذا وجدت لجنة الغوث أحد الأسماء قد توفى صاحبه فإنها تضع واحدا من أولئك مكانه .

وليس كل عدد أسماء القائمة يستلم معونة معدة من اللجنة بل إن ثلثى هذه الأسماء أو أقل أى أكثر من ٨٤٠,٠٠٠ يستلمون شهريا طعاما مقننا من طحين وأطعمة مجففة وزيت للطبخ بحيث تكفى ١٥٠٠ سعرة حرارية (كالورى) فى اليوم وتدفع للشخص نقدا أربع سنتات فى اليوم باستثناء بعض الأشهر التى

أعقبت عدوان ١٩٦٧ ولم يزيدوا المستوى السابق وقد زاد ما يقرب من ٣٠٠,٠٠٠ طفل هؤلاء أيضا يستحقون حصصا ....

وبمجرد نظرة إلى وضع اللاجئين نجد أنهم يعيشون على كفاف تقدمه صدقات الأمم فى القرن العشرين قابعين فى صحراء وفى خيام مهلهلة تنظر عيونهم إلى أوطانهم ومزارعهم ومدارسهم وحولهم الدبابات تقبع على أراضيهم والطائرات اليهودية تملأ الجو.

فهل يوجد أمل لحل هذه المأساة ، الحقيقة الواضحة أن قضية اللاجئين لم تفهم فى الغرب . لقد غلقتها دعايات إسرائيل بغلاف كثيف مضلل .

obeikandl.com